من رسائل الإخوان المسلمين

بين الأمس واليوم

للإمام الشهيد حسن البنا

الناشر
دار الكتاب العربي بمصر
محمد حلمي المنياوي

من رسائل

الإخوان المسلمين

Bayn al-ams wa-al-Yawm

بين الأمس واليوم

للإمام الشهيد حسن البنا

Hasan al Banna

القاهرة

مطبعة دار الكتاب العربي

١٩٥٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله ومن والاه

أصدر الإخوان المسلمون رسائل تشرح دعوتهم ، وتبين فكرتهم ، وترسم منهاجهم ، وقد جمعت تلك الرسائل أصول الدعوة ومراحلها ، وبينت حقيقتها وأهدافها ... وبين يدى القارىء الرسالة الأولى « بين الأمس واليوم » عن تطورات الفكرة الإسلامية وأهدافها وقد وضعت فى فجر الفكرة قبيل نشوب الحرب العظمى الثانية ، وتداولها الإخوان منذ ذلك الحين ، وفيها عرض طيب لمبادىء الإسلام ووسائل الإصلاح التى رسمها ودعا إلى الأخذ بها ، ونبذة عن الدولة الإسلامية فى مطلع نهضتها يوم اتخذت القرآن دستوراً والرسول صلى الله عليه وسلم قدوة وزعيما ، كما أن فيها تحليلا دقيقاً للعوامل التى أفسدت على المسلمين نهضتهم وبدلت حالهم ، ويرى القارىء فى ختام الرسالة كلمات توجيهية سديدة ، فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

والله نسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه ، وأن يفتح قلوب المسلمين وعقولهم للعمل بهدى الدين الحنيف .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد الفاتح الخاتم ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً .

١ – رسالة النبي الأمين – ومنهاج القرآن الكريم

منذ ألف وثلثمائة سنة وسبعين عاما نادى محمد بن عبد الله النبى الأمى فى بطن مكة وعلى رأس الصفا : « يأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت ، فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » . فكانت تلك الدعوة الجامعة حداً فاصلا فى الكون كله ، بين ماض مظلم ، ومستقبل باهر مشرق ، وحاضر زاخر سعيد ، وإعلانا واضحاً مبيناً لنظام جديد شارعه الله العليم الخبير ومبلغه محمد البشير النذير ، وكتابه القرآن الواضح المنير ، وجنده السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، وليس من وضع الناس ، ولكنه صبغة الله ، ومن أحسن من الله صبغة « ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم ، صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ألا إلى الله تصير الأمور » .

٢ — القواعد الأساسية فى الإصلاح الاجتماعي الكامل الذى جاء به القرآن الكريم

والقرآن هو الجامع لأصول هذا الإصلاح الاجتماعى الشامل وقد أخذ يتنزل على النبى صلى الله عليه وسلم ، ويعلن به المؤمنين بين الآن والآن بحسب الوقائع والظروف والمناسبات « كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ، ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً » حتى اكتمل به الوحى وحفظ فى الصدور والسطور فى مدى اثنين وعشرين سنة وكسور ، وقد جمع الله فيه لهذه الأمة تبيان كل شىء ، وأصول الإصلاح الاجتماعى الكامل الذى جاء به تكاد تنحصر فى هذه الأصول :

(ا) الربانية .

(ب) التسامى بالنفس الإنسانية .

(ج) تقرير عقيدة الجزاء .

(د) إعلان الأخوة بين الناس .

(هـ) النهوض بالرجل والمرأة جميعاً ، وإعلان التكافل والمساواة بينهما ، وتحديد مهمة كل منهما تحديداً دقيقاً .

(و) تأمين المجتمع بتقرير حق الحياة والملك والعمل والصحة والحرية والعلم والأمن لكل فرد وتحديد موارد الكسب .

(ز) ضبط الغريزتين : غريزة حفظ النفس ، وحفظ النوع ، وتنظيم مطالب الفم والفرج .

(ح) الشدة فى محاربة الجرائم الأصلية .

(ط) تأكيد وحدة الأمة والقضاء على كل مظاهر الفرقة وأسبابها .

(ى) إلزام الأمة الجهاد فى سبيل مبادىء الحق التى جاء بها هذا النظام .

(ك) اعتبار الدولة ممثلة للفكرة وقائمة على حمايتها ، ومسئولة عن تحقيق أهدافها فى المجتمع الخاص ، وإبلاغها إلى الناس جميعاً

٣ — الشعائر العملية لهذا النظام

وقد خالف هذا النظام القرآنى غيره من النظم الوضعية والفلسفات النظرية فلم يترك مبادئه وتعاليمه نظريات فى النفوس ، ولا آراء فى الكتب ولا كلمات على الأفواه والشفاه ، ولكنه وضع لتركيزها وتثبيتها والانتفاع بآثارها ونتائجها مظاهر عملية وألزم الأمة التى تؤمن به وتدين له بالحرص على هذه الأعمال وجعلها فرائض عليها لاتقبل فى تضييعها هوادة ، بل يثيب العاملين ويعاقب المقصرين عقوبة قد تخرج بالواحد منهم من حدود هذا المجتمع الإسلامى وتطوح به إلى مكان سحيق . وأهم هذه الفرائض التى جعلها هذا النظام سياجا لتركيز مبادئه هى :

(ا) الصلاة والذكر والتوبة والاستغفار .. إلخ .

(ب) الصيام والعفة والتحذير من الترف .

(ج) الزكاة والصدقة والإنفاق فى سبيل الخير .

(د) الحج والسياحة والرحلة والكشف والنظر فى ملكوت الله

(هـ) الكسب والعمل وتحريم السؤال .

(و) الجهاد والقتال وتجهيز المقاتلين ورعاية أهليهم ومصالحهم من بعدهم .

(ز) الأمر بالمعروف وبذل النصيحة .

(ح) النهى عن المنكر ومقاطعة مواطنه وفاعليه .

(ط) التزود بالعلم والمعرفة لكل مسلم ومسلمة فى فنون الحياة المختلفة كل فيما يليق به .

(ى) حسن المعاملة وكمال التخلق بالأخلاق الفاضلة .

(ك) الحرص على سلامة البدن والمحافظة على الحواس .

(ل) التضامن الاجتماعى بين الحاكم والمحكوم بالرعاية والطاعة معا .

فالمسلم مطالب بأداء هذه الواجبات ، والنهوض بها كما فصلها النظام القرآنى ، وعليه ألا يقصر فى شىء منها ، وقد ورد ذكرها جميعاً فى القرآن الكريم ، وبينتها بيانا شافيا أعمال النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه والذين اتبعوهم بإحسان فى بساطة ووضوح ، وكل عمل فيها أو عدة أعمال تقوى وتركز مبدأ أو عدة مبادىء من النظريات السابقة التى جاء هذا النظام لتحقيقها وإفادة الناس بنتائجها وآثارها .

٤ — الدولة الإسلامية الأولى

على قواعد هذا النظام الاجتماعى القرآنى الفاضل قامت الدولة الإسلامية الأولى تؤمن به إيمانا عميقا وتطبقه تطبيقا دقيقاً وتنشره فى العالمين ، حتى كان الخليفة الأول رضى الله عنه يقول : « لو ضاع منى عقال بعير لوجدته فى كتاب الله » وحتى إنه ليقاتل مانعى الزكاة ويعتبرهم مرتدين بهدمهم هذا الركن من أركان هذا النظام ويقول : « والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم متى استمسك السيف بيدى » وكانت الوحدة بكل معانيها ومظاهرها تشمل هذه الأمة الناشئة . فالوحدة الاجتماعية شاملة بتعميم نظام القرآن ولغة القرآن ، والوحدة والسياسة شاملة فى ظل أمير المؤمنين وتحت لواء الخلافة فى العاصمة ، ولم يحل دونها أن كانت الفكرة الإسلامية فكرة لامركزية فى الجيوش ، وفى بيوت المال ، وفى تصرفات الولاة ، إذ أن الجميع يعملون بعقيدة واحدة وبتوجيه عام متحد . ولقد طاردت هذه المبادىء القرآنية الوثنية المخرفة فى جزيرة العرب وبلاد الفرس فقضت عليها ، وطاردت اليهودية الماكرة فحصرتها فى نطاق ضيق وقضت على سلطانها الدينى والسياسى قضاء تاما ، وصارعت المسيحية حتى انحصر ظلها فى قارتى آسيا وأفريقيا وانحازت إلى أوربا فى ظل الدولة الرومانية الشرقية بالقسطنطينية وتركز بذلك السلطان الروحى والسياسى بالدولة الإسلامية فى القارتين العظيمتين ، وألحت بالغزو على القارة الثالثة تهاجم

القسطنطينية من الشرق وتحاصرها حتى يجهدها الحصار وتأتيها من الغرب فتقتحم الأندلس وتصل جنودها المظفرة إلى قلب فرنسا وإلى شمال وجنوب إيطاليا وتقيم فى غرب أوربا دولة شامخة البنيان مشرقة بالعلم والعرفان ، ويتم لها بعد ذلك فتح القسطنطينية نفسها وحصر المسيحية فى هذا الجزء المحدود من قلب أوربا ، وتمخر الأساطيل الإسلامية عباب البحرين الأبيض والأحمر فيصير كل منهما بحيرة إسلامية ، وتقبض قوات الدولة الإسلامية بذلك على مفاتيح البحار فى الشرق والغرب وتتم لها السيادة البرية والبحرية وقد اتصلت هذه الأمم الإسلامية بغيرها من الأمم ونقلت كثيراً من الحضارات ولكنها تغلبت بقوة إيمانها ومتانة نظامها عليها جميعاً فعربتها أو كادت واستطاعت أن تصبغها وأن تحملها على لغتها ودينها بما فيها روعة وحيوية وجمال ، ولم يمنعها أن تأخذ النافع من هذه الحضارات جميعاً من غير أن يؤثر ذلك فى وحدتها الاجتماعية أو السياسية .

٥ — عوامل التحلل فى كيان الدولة الإسلامية والشعب الإسلامى

ومع هذه القوة البالغة والسلطان الواسع فإن عوامل التحلل قد أخذت تتسلل إلى كيان هذه الأمة القرآنية وتعظم وتنتشر وتقوى شيئاً فشيئاً حتى مزقت هذا الكيان وقضت على الدولة الإسلامية المركزية فى القرن السادس الهجرى بأيدى التتار وفى

القرن الرابع عشر الهجرى مرة ثانيـة وتركت وراءها فى كلتا المرتين أمما مبعثرة ودويلات صغيرة تتوق إلى الوحدة وتتوثب للنهوض وكان أهم هذه العوامل :

(ا) الخلافات السياسية والعصبية وتنازع الرياسة والجاه ، مع التحذير الشديد الذى جاء به الإسلام فى ذلك والتزهيد فى الإمارة ولفت النظر إلى هذه الناحية التى هى سوس الأمم ومحطمة الشعوب والدول : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ، إن الله مع الصابرين » ومع الوصية البالغة بالإخلاص لله وحده فى القول والعمل والتنفير من حب الشهرة والمحمدة .

(ب) الخلافات الدينية والمذهبية والانصراف عن الدين كعقائد وأعمال إلى ألفاظ ومصطلحات ميتة لا روح فيها ولا حياة ، وإهمال كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، والجمود ، والتعصب للآراء والأقوال ، والولع بالجدل والمناظرات والمراء ، وكل ذلك مما حذر منه الإسلام ونهى عنه أشد النهى حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل » .

(ج) الانغماس فى ألوان الترف والنعيم ، والإقبال على المتعة والشهوات ، حتى أثر عن حكام المسلمين فى كثير من العصور مالم يؤثر عن غيرهم مع أنهم يقرأون قول الله تبارك وتعالى : « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً » .

(د) انتقال السلطة والرياسة إلى غير العرب من الفرس تارة والديلم تارة أخرى والمماليك والأتراك وغيرهم ممن لم يتذوقوا طعم الإسلام الصحيح ولم تشرق قلوبهم بأنوار القرآن لصعوبة إدراكهم لمعانيه مع أنهم يقرأون قول الله تبارك وتعالى : « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ، ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر ، قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون » .

(هـ) إهمال العلوم العملية والمعارف الكونية وصرف الأوقات وتضييع الجهود فى فلسفات نظرية عميقة وعلوم خيالية سقيمة مع أن الاسلام يحثهم على النظر فى الكون واكتناه أسرار الخلق والسير فى الأرض ويأمرهم أن يتفكروا فى ملكوت الله : « قل انظروا ماذا فى السماوات والأرض » .

(و) الغرور بسلطانهم والانخداع بقوتهم وإهمال النظر فى التطور الاجتماعى للأمم من غيرهم ، حتى سبقتهم فى الاستعداد والأهبة وأخذتهم على غرة ، وقد أمرهم القرآن باليقظة وحذرهم مغبة الغفلة واعتبر الغافلين كالأنعام بل هم أضل : « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون » .

(ز) الانخداع بدسائس المتملقين من خصومهم والإعجاب

بأعمالهم ومظاهر حياتهم والاندفاع فى تقليدهم فيما يضر ولا ينفع مع النهى الشديد عن التشبه بهم والأمر الصريح بمخالفتهم والمحافظة على مقومات الأمة الإسلامية والتحذير من مغبة هذا التقليد حتى قال القرآن الكريم : « يأيها الذين آمنو إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين » وقال فى آية أخرى : « يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين ».

٦ — صراع سياسى

(ا) أخذت هذه العوامل تعمل فى كيان الدولة الإسلامية والأمة الإسلامية عملها وظنت الأمم الموتورة أن قد سنحت الفرصة لتأخذ بثأرها وتقضى على هذه الدولة الإسلامية التى فتحت بلادها من قبل وغيرت معالم أوضاعها فى كل شئون الحياة ، فانحدر التتار كالسيل الدافق على الدولة الإسلامية وأخذوا يقطعون أشلاءها جزءاً جزءاً حتى وصلوا إلى بغداد عاصمة الخلافة العباسية ووطئوها بنعالهم فى شخص الخليفة المستعصم ، وبذلك تبدد شمل الدولة وانتثر عقد الخلافة لأول مرة وتفرقت الأمم إلى دويلات صغيرة ، فكل قبيلة فيها أمير المؤمنين ومنبر ، وتنبهت المسيحية فى أوربا وجمعت جموعها وقذفت الشرق المسلم فى آسيا وأفريقية بكتائبها فى تسع حملات صليبية اشتملت على خير ما فيها من فرسان وملوك وعتاد ، وتمكنت هذه القوات الزاحفة من إقامة دولة صليبية فى بيت المقدس

وتهديد أمم الإسلام فى الشرق والغرب ومهاجمة مصر أقوى هذه الدول إذ ذاك .

(ب) انتعاش : ولكن الله تبارك وتعالى لم يأذن بعد بانتصار الباطل على الحق فاستطاعت مصر أن تجمع حولها فلول بعض هذه الدويلات وتقذف بهم فى نحر الصليبيين بقيادة صلاح الدين فتستعيد منهم بيت المقدس وتريهم كيف تكون الهزيمة فى حطين ، ثم تقف فى وجه التتار بقيادة الظاهر بيبرس وتردهم على أعقابهم خاسئين فى عين جالوت ثم تعيد رسم الخلافة من جديد ، ويريد الله بعد ذلك أن تقوم للاسلام دولة وارفة الظلال قوية البأس شديدة المراس تجمع كلمة أهله وتضم تحت لوائها معظم أممه وشعوبه ويأبى لها علو الهمة إلا أن تغزو المسيحية فى عقر دارها فتفتح القسطنطينية ويمتد سلطانها فى قلب أوربا حتى يصل إلى فينا ، تلك هى دولة الأتراك العثمانية .

(ج) بواكير النهضة فى أوربا : اطمأنت الدولة الإسلامية تحت لواء العثمانيين إلى سلطانها واستنامت إليه وغفلت عن كل ما يدور حولها ولكن أوربا التى اتصلت بأضواء الإسلام غربا بالأندلس وشرقا بالحملات الصليبية لم تضع الفرصة ولم تغفل عن الاستفادة بهذه الدروس فأخذت تتقوى وتتجمع تحت لواء الفرنجة فى بلاد الغال ، واستطاعت بعد ذلك أن تصد تيار الغزو الإسلامى الغربى وأن تبث الدسائس بين صفوف مسلمى الأندلس وأن

تضرب بعضهم ببعض إلى أن قذفت بهم أخيراً إلى ما وراء البحر أو إلى العدوة الأفريقية ، فقامت مقامهم الدولة الأسبانيولية الفتية وما زالت أوروبا تتقوى وتتجمع وتفكر وتتعلم وتجوب البلاد وتكشف الأقطار حتى كان كشف أمريكا عملا من أعمال أسبانيا وكشف طريق الهند عملا من أعمال البرتغال، وتوالت فيها صيحات الإصلاح ونبغ بها كثير من المصلحين وأقبلت على العلم الكونى والمعرفة المنتجة المثمرة . وانتهت بها هذه الثورات الإصلاحية إلى تكوين القوميات وقيام دول قوية جعلت هدفها جميعاً أن تمزق هذه الدولة الإسلامية التى قاسمتها أوروبا واستأثرت دونها بأفريقيا وآسيا وتحالفت هذه الدول الفتية على ذلك أحلافا رقت بها إلى درجة القداسة فى كثير من الأحيان .

(د) هجوم جديد : وامتدت الأيدى الأوربية بحكم الكشف والضرب فى الأرض والرحلة إلى أقصى آفاقها البعيدة إلى كثير من بلدان الإسلام النائية كالهند وبعض الولايات الإسلامية المجاورة لها وأخذت تعمل فى جد للوصول إلى تمزيق دولة الإسلام القوية الواسعة وأخذت تضع لذلك المشروعات الكثيرة تعبر عنها أحيانا بالمسألة الشرقية وأخرى باقتسام تركة الرجل المريض ، وأخذت كل دولة تنتهز الفرصة السانحة وتنتحل الأسباب الواهية وتهاجم الدولة الوادعة اللاهية فتنتقص بعض أطرافها أو تهد جانباً من كيانها ، واستمرت هذه المهاجمة أمداً طويلا انسلخ فيه عن الدولة

العثمانية كثير من الأقطار الإسلامية ،وقعت تحت السلطان الأوروبى (كالمغرب الأقصى وشمال أوروبا) واستقل فيه كثير من البلاد غير الإسلامية التى كانت تحت سلطان العثمانيين كاليونان ودول البلقان، وكان الدور الختامى فى هذا الصراع الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ — ١٩١٨م الذى انتهى بهزيمة تركيا وحلفائها وبذلك سنحت الفرصة الكاملة لأقوى شعوب أوروبا (انجلترا وفرنسا) وإلى جوارهما (إيطاليا) فوضعت يدها على هذا الميراث الضخم من أمم الإسلام وشعوبه ، وبسطت سلطانها عليها فى أسماء مختلفة من احتلال واستعمار ووصاية وانتداب وتقاسمته على هذا النحو : —

١ — أفريقية الشمالية (مراكش والجزائر وتونس) مستعمرات فرنسية تتخللها منطقة نفوذ دولية فى طنجة ومستعمرة أسبانية فى الريف .

٢ — طرابلس وبرقة مستعمرة إيطالية لم تشأ إيطاليا أن تبقى على شىء من آثار الإسلام فيها ، ففرضت عليها التجنس بالجنسية الإيطالية وأسمتها إيطاليا الجنوبية ، وقذفتها بآلاف من جياع الأسر وذئاب البشر .

٣ — مصر والسودان تحت الحماية الإنجليزية لا تملك إحداهما لنفسها من أمرها شيئا .

٤ — فلسطين مستعمرة إنجليزية أباحت انجلترا لنفسها أن تبيعها لليهود لينشئوا فيها الوطن القومى الصهيونى .

٥ — سوريا مستعمرة فرنسية .

٦ — العراق مستعمرة إنجليزية .

٧ — الحجاز حكومة ضعيفة متداعية تنتظر الصدقات وتتشبث بالعهود الزائفة والمواثيق الباطلة .

٨ — اليمن حكومة منزوية وشعب فقير مهدد بالغزو فى كل مكان فى أى وقت من الأوقات .

٩ — بقية أقسام الجزيرة العربية إمارات صغيرة يعيش أمراؤها فى كنف القناصل الإنجليز ويقاتلون بفتات موائدهم وتشتعل صدورهم بنيران التحاقد والتباغض ، هذا مع الوعود المؤكدة والمواثيق الغليظة التى قطعها الحلفاء لعاهل الجزيرة الملك حسين أن يساعدوه على استقلال العرب وتدعيم سلطان الخلافة العربية .

١٠ — إيران والأفغان حكومات مضطربة تتوزعها الأطماع من كل مكان فهى تحت كنف هذه الأمة تارة وإلى جانب تلك تارة أخرى .

١١ — الهند مستعمرة إنجليزية .

١٢ — تركستان وما جاورها مستعمرات روسية يذيقها البلاشفة مر العذاب . وفيما عدا ذلك فهناك الأقليات الإسلامية المنثورة فى كثير من البلدان ، لاتعرف دولة تلجأ إلى حمايتها ، أو حكومة مسلحة تحتمى بجنسيتها كالمسلمين فى الحبشة والصين والبلقان وبلاد أفريقية الوسطى والجنوبية الشرقية والغربية .

وبهذا الوضع انتصرت أوربا فى هذا الصراع السياسى وتم

لها ما أرادت من تمزيق الإمبراطورية الإسلامية والذهاب بدولة الإسلام وحذفها سياسياً من قائمة الدول الحية العظيمة .

(هـ) إلى القوة من جديد : ولكن هذا العدوان الصارخ والاستهتار بالعهود والمواثيق أحرج الصدور وأثار النفوس فهبت هذه الأمم تطالب باستقلالها وتجاهد لاسترداد حريتها ومجدها ، واشتعلت فيها الثورات لهذا المعنى ، فثارت تركيا ، وثارت مصر ، وثارت العراق وسوريا ، وتكررت الثورات فى فلسطين والريف فى بلاد المغرب ، وعمت اليقظة النفوس فى كل مكان ، ووصلت شعوب الإسلام بذلك إلى بعض الحقوق ، فاستقلت تركيا فى حدودها الجديدة ، واعتبرت مصر والعراق دولتين مستقلتين ، وقامت فى الحجاز ونجد دولة السعوديين ، وحافظت اليمن وإيران وأفغانستان على وضعياتها المستقلة ، وقاربت سوريا أن تسلب الاعتراف باستقلالها[١] ، ولفتت فلسطين أنظار العالم إليها بكفاحها ، وخطا المسلمون ولا شك خطوات طيبة وإن كانت قليلة وبطيئة نحو الأهداف الكريمة التى قصدوها من استعادة حريتهم واسترداد مجدهم وبناء دولتهم ، ولئن اتجهت هذه الخطوات إلى المعنى القومى الخاص وطالبت كل أمة بحقها فى الحرية كأمة مستقلة وتعمد كثير من العاملين لهذه النهضة أن يغفل فكرة الوحدة فإن

---

(١) نالت سوريا أخيراً حريتها واعترفت الدول باستقلالها وجلا الفرنسيون عن ديارها .

مصير هذه الخطوات سيكون ، ولاشك ، التجمع وعودة الإمبراطورية الإسلامية كدولة متحدة تضم شتات شعوب العالم الإسلامى وترفع راية الإسلام وتحمل دعوته ، فليس فى الدنيا أمة يجمعها ما يجمع المسلمين من وحدة اللغة والاشتراك فى المصالح المادية والروحية والتشابه فى الآلام والآمال .

(و) حرب جديدة : ولقد خرجت الدول الأوروبية من الحرب العالمية وبذور الحقد والبغضاء متأصلة فى صدور الكثير منها وجاء مؤتمر الصلح ومعاهداته لطمات قاسية لبعضها وخيبة أمل مؤلمة لكثير منها ، هذا إلى ظهور كثير من الفكر الجديدة ، والمبادىء المتعصبة الشديدة التعصب ؛ ولا بد أن تنتهى هذه الحال بهذه الأمم إلى خلاف جديد وحرب طاحنة ضروس تبدد شملهم وتمزق وحدتهم وتعيدهم إلى رشدهم وتردهم عن ظلمهم ، وتهب لأمم الإسلام فرصة أخرى تسوى فيها صفوفها وتجمع شملها وتستكمل حريتها واستقلالها وتسترد دولتها ووحدتها تحت لواء أمير المؤمنين : « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين »

٧ — صراع اجتماعى

(ا) حضارة جديدة : إن الأمم الأوروبية التى اتصلت بالإسلام وشعوبه فى الشرق بالحروب الصليبية وفى الغرب بمجاورة عرب الأندلس ومخالطتهم لم تستفد من هذا الاتصال مجرد الشعور القوى أو التجمع والتوحد السياسى ولكنها أفادت إلى جانب ذلك يقظة

ذهنية وعقلية كبيرة وا كتسبت علوما ومعارف جمة وظهرت فيها نهضة أدبية وعلمية واسعة النطاق ، وقامت الكنيسة تناهض هذه الظاهرة الغريبة بكل ما أوتيت من قوة ، وتذيق رجالها من الأدباء والعلماء مر العذاب ، وتعتدى عليهم محاكم التفتيش وتثير ضدهم الدول والشعوب ، ولكن ذلك كله لم يجدها نفعاً ولم تثبت تعاليمها أمام حقائق العلم وكشوفه ، وخرجت النهضة العلمية منتصرة كل الانتصار وتنبهت الدولة بذلك فصارعت الكنيسة هى الأخرى حتى صرعتها وتخلص بذلك المجتمع الأوربى تخلصاً تاما من سلطانها وطارد رجالها إلى المعابد والأديرة وألزم البابا الإقامة فى الفاتيكان وحصر عمل رجال الدين فى نطاق ضيق من شئون الحياة لا يخرجون عنه ولا يتطلعون إلى سواه ، ولم تبق أوروبا على المسيحية إلا كتراث تاريخى ، وعامل من عوامل تهذيب البسطاء والأغرار من دهماء الشعوب ، ووسيلة من وسائل التغلب والاستعمار وقضاء المآرب السياسية ، وامتد أمام الأوروبيين رواق العلم وانفسح مجال الاختراع والكشف وضاعفت الماكينة الإنتاج ووجهت الحياة وجهة صناعية ، وسار ذلك جنبا إلى جنب مع نشأة الدولة القوية وامتداد سلطانها إلى كثير من البلاد والأقطار ، فأقبلت الدنيا على هذه الأمم الأوربية وجبيت إليها ثمرات كل شىء ، وتدفقت عليها الأموال من كل مكان فكان طبيعياً بعد ذلك أن تقوم الحياة الأوربية والحضارة الأوربية على قاعدة إقصاء الدين عن كل مظاهر الحياة الاجتماعية وبخاصة الدولة

والمحكمة والمدرسة وطغيان النظرة المادية وجعلها المقياس فى كل شىء . . . وتبعا لذلك صارت مظاهر هذه الحضارة مظاهر مادية بحتة تهدم ما جاءت به الأديان السماوية وتناقض كل المناقضة تلك الأصول التى قررها الإسلام الحنيف وجعلها أساسا لحضارته ، التى جمعت بين الروحانية والمادية جميعا ، ومن أهم الظواهر التى لازمت المدنية الأوربية :

١ — الإلحاد والشك فى الله وإنكار الروح ونسيان الجزاء الأخروى والوقوف عند حدود الكون المادى المحسوس : « يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون » .

٢ — الإباحية والتهافت على اللذة والتفنن فى الاستمتاع وإطلاق الغرائز الدنيا من عقالها وإشباع شهوتى البطن والفرج وتجهيز المرأة بكل صنوف المفاتن والمغريات والإغراق فى الموبقات إغراقا يحطم الجسوم والعقول ويقضى على نظام الأسر ويهدم سعادة البيوت : « والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم » .

٣ — الأثرة فى الأفراد ، فكل إنسان لا يريد إلا خير نفسه . وفى الطبقات ، فكل طبقة تتعالى عمن سواها وتود أن تحظى بالمغانم دونها . وفى الشعوب ، فكل أمة تتعصب لجنسها وتنتقص غيرها وتحاول أن تلتهم من هى أضعف منها .

٤ — الربا والاعتراف بشرعيته واعتباره قاعدة التعامل والتفنن

فى صوره وضروبه وتعميمه بين الدول والأفراد ، وقد أنتجت هذه المظاهر المادية البحتة فى المجتمع الأوربى فساد النفوس وضعف الأخلاق والتراخى فى محاربة الجرائم فكثرت المشكلات وظهرت المبادىء الهدامة واشتعلت الثورات المخربة المدمرة واضطربت النظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فلم تستقر على حال ، وتمزقت الدول بالطوائف والأحزاب وتناحرت الشعوب على المطامع والأحقاد ، وأثبتت هذه المدنية الحديثة عجزها التام عن تأمين المجتمع الإنسانى وإقرار الطمأنينة والسلام فيه وفشلها فى إسعاد الناس رغم ما فتحت عليهم من حقائق العلم والمعرفة وما وفرت لهم من أسباب الغنى والثراء وما مكنت لدولها فى الأرض من قوة وسلطان ولما يمض عليها قرن كامل من الزمان .

طغيان المادة على بلاد الإسلام

وقد عمل الأوروبيون جاهدين على أن تغمر موجة هذه الحياة المادية بمظاهرها الفاسدة وجراثيمها القتالة جميع البلاد الإسلامية التى امتدت إليها أيديهم وأوقعها سوء الطالع تحت سلطانهم ، مع حرصهم الشديد على أن يحتجزوا دون هذه الأمم عناصر الصلاح والقوة من العلوم والمعارف والصناعات والنظم النافعة وقد أحكموا خطة هـذا الغزو الاجتماعى إحكاما شديداً واستعانوا بدهائهم السياسى وسلطانهم العسكرى حتى تم لهم ما أرادوا . أغروا كبار المسلمين بالاستدانة منهم والتعامل معهم وسهلوا عليهم ذلك وهونوه

عليهم واستطاعوا بذلك أن يكتسبوا حق التدخل الاقتصادى وأن يغرقوا البلاد برءوس أموالهم ومصارفهم وشركاتهم وأن يديروا دولاب العمل الاقتصادى كما يريدون وأن يستأثروا دون الأهلين بالأرباح الطائلة والثروات العظيمة ، وتمكنوا بعد ذلك من أن يغيروا قواعد الحكم والقضاء والتعليم وأن يصبغوا النظم السياسية والتشريعية والثقافية بصبغتهم الخالصة فى أقوى بلاد الإسلام ، وجلبوا إلى هذه الديار نساءهم الكاسيات العاريات وخمورهم ومسارحهم ومراقصهم وملاهيهم وقصصهم وجرائدهم ورواياتهم وخيالتهم وعبثهم ومجونهم ، وأباحوا فيها من الجرائم ما لم يبيحوه فى ديارهم ، وزينوا هذه الدنيا الصاخبة العابثة التى تعج بالإثم وتطفح بالفجور فى أعين البسطاء الأغرار من المسلمين الأغنياء وذوى الرأى فيهم وأهل المكانة والسلطان . ولم يكفهم هذا حتى أنشأوا المدارس والمعاهد العلمية والثقافية فى عقر ديار الإسلام تقذف فى نفوس أبنائه الشك والإلحاد وتعلمهم كيف ينتقصون أنفسهم ويحتقرون دينهم ووطنهم وينسلخون من تقاليدهم وعقائدهم ويقدسون كل ما هو غربى ، ويؤمنون بأن مايصدر عن الأوروبيين وحده هو المثل الأعلى فى هذه الحياة . واحتوت هذه المدارس على أبناء الطبقة العليا وحدها وصارت وقفا عليها . وأبناء هذه الطبقة هم العظماء والحكام ومن سيكون بيدهم بعد قليل مقاليد الأمور فى هذه الأمم والشعوب ، ومن لم يتم نضجه فى هذه المعاهد

الموضعية فإن فى البعثات المتلاحقة ما يكفل لهم التمام . ونجح هذا الغزو الاجتماعى المنظم العنيف أعظم النجاح فهو غزو محبب إلى النفوس لاصق بالقلوب طويل العمر قوى الأثر ، وهو لهذا أخطر من الغزو السياسى والعسكرى بأضعاف الأضعاف ، وتغالت بعض الأمم الإسلامية فى الإعجاب بهذه الحضارة الأوربية والتبرم بصبغتها الإسلامية حتى أعلنت تركيا أنها دولة غير إسلامية وتبعت الأوروبية فى عنف قاس فى كل ما يصنعون ، وحاول ذلك أمان الله خان ملك الأفغان فطاحت تلك المحاولة بعرشه وازدادت فى مصر مظاهر هذا التقليد واستفحلت حتى استطاع رجل من ذوى الرأى فيها أن يجهر بأنه لا سبيل إلى الترقى إلا بأن نأخذ بهذه الحضارة خيرها وشرها وحلوها ومرها وما يحب منها وما يكره وما يحمد منها وما يعاب ، وأخذت تنتقل فى سرعة وقوة من مصر إلى ما جاورها من البلاد حتى وصلت إلى أقصى المغرب وطوفت بالمشاعر المقدسة فى ربوع الحجاز ، ونستطيع أن نقسم البلاد الإسلامية بحسب تأثرها بهذه الحضارة المادية وطغيان مادتها عليها إلى ثلاثة أقسام :

١ — بلاد بلغ فيها هذا التأثر مبلغاً عظيما يصل إلى القلوب والمشاعر ، كما غير الأوضاع والمظاهر ، ومن هذه البلاد تركيا ومصر فقد انحسر ظل الفكرة الإسلامية فى هذه البلاد عن كل الأوضاع الاجتماعية وطوردت الفكرة الإسلامية لتقبع فى المساجد والزوايا والربط والتكايا .

٢ — بلاد تأثرت بهذه الحضارة فى أوضاعها ومظاهرها الرسمية ، ولكنها لم تتغلب فيها على المشاعر القلبية كإيران وبلاد المغرب لإشمال أفريقية .

٣ — بلاد لم تتأثر بهذه الحضارة فيها إلا طبقة خاصة من المثقفين والحكام دون العامة والدهماء كسوريا والعراق والحجاز وكثير من أجزاء الجزيرة العربية وبقية ممالك الإسلام .

ومع هذا فالموجة تمتد بسرعة البرق لتصل إلى ما لم تصل إليه بعد من النفوس والطبقات والأوضاع . ولقد استطاع خصوم الإسلام أن يخدعوا عقلاء المسلمين وأن يضعوا ستاراً كثيفاً أمام أعين الغُيُر منهم بتصوير الإسلام نفسه تصويراً قاصراً فى ضروب من العقائد والعبادات والأخلاق إلى جانب مجموعة من الطقوس والخرافات والمظاهر الجوفاء ، وأعانهم على هذه الخديعة جهل المسلمين بحقيقة دينهم حتى استراح كثير منهم إلى هذا التصوير واطمأنوا إليه ورضوا به ، وطال عليهم فى ذلك الأمد حتى صار من العسير أن نفهم أحدهم أن الإسلام نظام اجتماعى كامل يتناول كل شئون الحياة ونستطيع بعد ذلك أن نقول إن الحضارة العربية بمبادئها المادية قد انتصرت فى هذا الصراع الاجتماعى على الحضارة الإسلامية بمبادئها القويمة الجامعة للروح والمادة معا فى أرض الإسلام نفسه ، وفى حرب ضروس ميدانها نفوس المسلمين وأرواحهم وعقائدهم وعقولهم كما انتصرت فى الميدان السياسى والعسكرى ، ولا عجب

فى هذا فإن مظاهر الحياة لاتتجزأ والقوة قوة فيها جميعا ، والضعف ضعف فيها جميعا كذلك : « وتلك الأيام نداولها بين الناس » وإن كانت مبادىء الإسلام وتعاليمه ظلت قوية فى ذاتها فياضة بالخصب والحياة جذابة . أخاذة بروعتها وجمالها ، وستظل كذلك لأنها الحق ولن تقوم الحياة الإنسانية كاملة فاضلة بغيرها ولأنها من صنع الله وفى حياطته : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » ، « ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » .

(ب) يقظة : وكما كان لذلك العدوان السياسى أثره فى تنبيه المشاعر القومية ، وكان لهذا ، الطغيان الاجتماعى أثره كذلك فى انتعاش الفكرة الإسلامية ، فارتفعت الأصوات من كل مكان تطالب بالرجوع إلى الإسلام وتفهم أحكامه وتطبيق نظامه ولا بد أن يأتى قريباً ذلك اليوم الذى تندك فيه صروح هذه المدنية المادية على رؤوس أهلها ، وحينئذ يشعرون بسعير الجوع الروحى تشتعل به قلوبهم وأرواحهم ولا يجدون الغذاء والشفاء والدواء إلا فى تعاليم هذا الكتاب الكريم : « يأيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ، قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ».

٨ — دعوتنا دعوة البعث والإنقاذ

(ا) تركة مثقلة : وهكذا أيها الإخوان أراد الله أن نرث هذه التركة المثقلة بالتبعات ، وأن يشرق نور دعوتكم فى ثنايا هذا الظلام وأن يهيئكم الله لإعلاء كلمته وإظهار شريعته وإقامة دولته من جديد : « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز » .

(ب) أهدافنا العامة : ماذا نريد أيها الإخوان ؟ أنريد جمع المال وهو ظل زائل ؟ أم نريد سعة الجاه وهو عرض حائل ؟ أم نريد الجبروت فى الأرض « والأرض لله يورثها من يشاء من عباده » ؟ ونحن نقرأ قول الله تبارك وتعالى : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدن علواً فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين » شهد الله أننا لا نريد شيئا من هذا وما لهذا عملنا ولا إليه دعونا ولكن اذكروا دائماً أن لكم هدفين أساسيين :

١ — أن يتحرر الوطن الإسلامى من كل سلطان أجنبى وذلك حق طبيعى لكل إنسان لاينكره إلا ظالم جائر أو مستبد قاهر .

٢ — أن تقوم فى هذا الوطن الحر دولة إسلامية حرة تعمل بأحكام الإسلام وتطبق نظامه الاجتماعى وتعلن مبادئه القويمة وتبلغ دعوته الحكيمة للناس ، ومالم تقم هذه الدولة فإن المسلمين جميعا آثمون مسئولون بين يدى الله العلى الكبير عن تقصيرهم فى إقامتها وقعودهم عن إيجادها . ومن العقوق للانسانية فى هذه الظروف

الجائرة أن تقوم فيها دولة تهتف بالمبـــادىء الظالمة وتنادى بالدعوات الغاشمة ولا يكون فى الناس من يعمل لتقوم دولة الحق والعدالة والسلام . نريد تحقيق هـذين الهدفين فى وادى النيل وفى بلاد العروبة وفى كل أرض أسعدها الله بعقيدة الإسلام : دين وجنسية وعقيدة توحد بين جميع المسلمين .

(ج) أهدافنا الخاصة : ولنا بعد هذين الهـدفين أهداف خاصة لا يصير المجتمع إسلامياً كاملا إلا بتحقيقها . فاذ كروا أيها الإخوان أن أكثر من ٦٠ ٪ من المصريين يعيشون أقل من معيشة الحيوان ، ولا يحصلون على القوت إلا بشق النفس وأن مصر مهددة بمجاعة قاتلة ومعرضة لـكثير من المشكلات الاقتصادية التى لا يعلم نتيجتها إلا الله وأن مصر بها أكثر من ٣٢٠ شركة أجنبية تحتـكر كل المرافق العامة وكل المنافع الهامة فى جميع أنحاء البلاد ، وأن دولاب التجارة والصناعة والمنشآت الاقتصادية كلها فى أيدى الأجانب المرابين وأن الثروة العقارية تنتقل بسرعة البرق من أيدى الوطنيين إلى أيدى هؤلاء ، وأن مصر أكثر بلاد العالم المتمدين أمراضاً وأوبئة وعاهات وأن أكثر من ٩٠ ٪ من الشعب المصرى مهـدد بضعف البنية وفقد الحواس ومختلف العلل والأمراض وأن مصر لا زالت إلى الآن جاهلة لم يصل عدد المتعلمين فيها إلى الخمس بما فى ذلك أكثر من مائة ألف شخص لا يتجاوز تعليمهم برامج مدارس الإلزام ، وأن الجرائم تتضاعف فى مصر

وتتكاثر بدرجة هائلة حتى إن السجون لتخرج أكثر مما تخرج المدارس ، وأن مصر لم تستطع إلى الآن أن تجهز فرقة واحدة فى الجيش كاملة المعدات ، وأن هذه المعانى والصور تتراءى فى كل بلد من بلدان العالم الإسلامى ، فمن أهدافكم أن تعملوا لإصلاح التعليم ومحاربة الفقر والجهل والمرض والجريمة وتكوين مجتمع نموذجى يستحق أن ينتسب إلى شريعة الإسلام .

(د) وسائلنا العامة : كيف نصل إلى هذه الأهداف ؟ إن الخطب والأقوال والمكاتبات والدروس والمحاضرات وتشخيص الداء ووصف الدواء كل ذلك وحده لا يجدى نفعاً ولا يحقق غاية ولا يصل بالداعين إلى هدف من الأهداف ، ولكن للدعوات وسائل لابد من الأخذ بها والعمل لها . والوسائل العامة للدعوات لا تتغير ولا تتبدل ولا تعدو هذه الأمور الثلاثة :

١ — الإيمان العميق .

٢ — التكوين الدقيق .

٣ — العمل المتواصل وتلك هى وسائلكم العامة أيها الإخوان ، فآمنوا بفكرتكم وتجمعوا حولها واعملوا لها واثبتوا عليها .

(هـ) وسائل إضافية : وقد تكون إلى جانب هذه الوسائل العامة وسائل إضافية لابد من الأخذ بها وسلوك سبيلها ، منها السلبى ومنها الإيجابى ومنها ما يتفق مع عرف الناس ومنها ما يخرج على هذا العرف ويخالفه ويناقضه ، ومنها ما فيه لين ومنها ما فيه شدة ،

ولا بد أن نروض أنفسنا على تحمل ذلك كله والإعداد لهذا كله حتى نضمن النجاح . قد يطلب إلينا أن نخالف عادات ومألوفات وأن نخرج على نظم وأوضاع ألفها الناس وتعارفوا عليها وليست الدعوة فى حقيقة أمرها إلا خروجا على المألوفات وتغييراً للعادات والأوضاع ، فهل أنتم مستعدون لذلك أيها الإخوان ؟

(و) تثبيط : وسيقول كثير من الناس وماذا تعنى هذه الوسائل ؟ وما عساها أن تنفع فى بناء أمة وترميم مجتمع مع هذه المشكلات المزمنة ومع استقرار الحال على هذه المفاسد المتعددة ؟ وكيف تعالجون الاقتصاد على غير أساس الربا ؟ وكيف تصنعون فى قضية المرأة ؟ وكيف تنالون حقكم بغير قوة ؟ فاعلموا أيها الإخوان أن وساوس الشيطان يلقيها فى أمنية كل مصلح فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم . واذكروا لهؤلاء جميعا أن التاريخ يقص علينا من نبأ الأمم الماضية والحاضرة ما فيه عظة وعبرة ، والأمة التى تصمم على الحياة لا يمكن أن تموت .

(ز) العقبات فى طريقنا : أحب أن أصارحكم أن دعوتكم لا زالت مجهولة عند كثير من الناس ، ويوم يعرفونها ويدركون مراميها وأهدافها ستلقى منهم خصومة شديدة وعداوة قاسية وستجدون أمامكم كثيراً من المشقات وسيعترضكم كثير من العقبات وفى هذا الوقت وحده تكونون قد بدأتم تسلكون سبيل أصحاب الدعوات . أما الآن فلا زلتم مجهولين ولا زلتم تمهدون للدعوة

وتستعدون لما تتطلبه من كفاح وجهاد — سيقف جهل الشعب بحقيقة الإسلام عقبة فى طريقكم ، وستجدون من أهل التدين ومن العلماء الرسميين من يستغرب فهمكم للاسلام وينكر عليكم جهادكم فى سبيله ، وسيحقد عليكم الرؤساء والزعماء وذوو الجاه والسلطان ، وستقف فى وجهكم كل الحكومات على السواء ، وستحاول كل حكومة أن تحد من نشاطكم وأن تضع العراقيل فى طريقكم .

وسيتذرع الغاصبون بكل طريق لمناهضتكم وإطفاء نور دعوتكم ، وسيستعينون فى ذلك بالحكومات الضعيفة والأخلاق الضعيفة والأيدى الممتدة إليهم بالسؤال وإليكم بالإساءة والعدوان (وسيثير الجميع حول دعوتكم غبار الشبهات وظلم الاتهامات وسيحاولون أن يلصقوا بها كل نقيصة وأن يظهروها للناس فى أبشع صورة معتمدين على قوتهم وسلطانهم ، ومعتدين بأموالهم ونفوذهم : « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ») وستدخلون بذلك ولاشك فى دور التجربة والامتحان ، فتسجنون وتعتقلون وتنقلون وتشردون وتصادر مصالحكم وتعطل أعمالكم وتفتش بيوتكم ، وقد يطول بكم مدى هذا الامتحان : « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون » ولكن الله وعدكم من بعد ذلك كله نصرة المجاهدين ومثوبة العاملين المحسنين « يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على

تجارة تنجيكم من عذاب أليم . . . فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » فهل أنتم مصرون على أن تكونوا أنصار الله ؟

(ح) عوامل النجاح — ومن الحق أيها الإخوان أن نذكر أمام هذه العقبات جميعا أننا ندعو بدعوة الله وهى أسمى الدعوات وننادى بفكرة الإسلام وهى أقوى الفكر ، ونقدم للناس شريعة القرآن وهى أعدل الشرائع : « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة » وأن العالم كله فى حاجة إلى هذه الدعوة وكل ما فيه يمهد لها ويهيىء سبيلها ، وأننا نحمد الله برءاء من المطامع الشخصية بعيدون عن المنافع الذاتية ، لا نقصد إلا وجه الله وخير الناس ولا نعمل إلا ابتغاء مرضاته ، وإننا نترقب تأييد الله ونصرته ومن نصره الله فلا غالب له : « ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم » فقوة دعوتنا وحاجة العالم إليها ونبالة مقصدنا وتأييد الله إيانا هى عوامل النجاح التى لا تثبت أمامها عقبة ولا يقف فى طريقها عائق : « والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

٩ — وصية

أيها الإخوان المسلمون ، اسمعوا :

أردت بهذه الكلمات أن أضع فكرتكم أمام أنظاركم فلعل ساعات عصيبة تنتظرنا يحال فيها بينى وبينكم إلى حين ، فلا أستطيع أن أتحدث معكم أو أكتب إليكم ، فأوصيكم أن تتدبروا هذه

الـكلمات ، وأن تحفظوها إذا استطعتم وأن تجتمعوا عليها ، وإن تحت كل كلمة لمعانى جمة .

أيها الإخوان : أنتم لستم جمعية خيرية ولا حزباً سياسياً ولا هيئة موضعية لأغراض محدودة المقاصـد ، ولـكنـكم روح جديد يسرى فى قلب هذه الأمة فيحييه بالقرآن ، ونور جـديد يشرق فيبدد ظلام المادة بمعرفة الله ، وصوت داو يعلو مردداً دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن الحق الذى لاغلو فيه أن تشعروا أنـكم تحملون هذا العبء بعد أن تخلى عنه الناس . إذا قيل لـكم إلام تدعون ؟ فقولوا ندعو إلى الإسلام الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم والحـكومة جزء منه والحرية فريضة من فرائضه ، فإن قيل لـكم هذه سياسة ! ، فقولوا هذا هو الإسلام ونحن لا نعرف هذه الأقسام ، وإن قيل لـكم أنتم دعاة ثورة ! فقولوا نحن دعاة حق وسلام نعتقده ونعتز به ، فإن ثرتم علينا ووقفتم فى طريق دعوتنا فقد أذن الله أن ندفع عن أنفسنا وكنتم الثائرين الظالمين ، وإن قيل لـكم إنـكم تستعينون بالأشخاص والهيئات فقولوا : « آمنا بالله وحـده و كفرنا بما كنتم به مشركين » فإن لجوا فى عدوانهم فقولوا : « سـلام عليكم لا نبتغى الجاهلين » .

١٠ — واجبات

أيها الإخوان :

آمنوا بالله واعتزوا بمعرفته والاعتماد عليه والاستناد إليه فلا تخافوا غيره ولا ترهبوا سواه ، وأدوا فرائضه واجتنبوا نواهيه وتخلقوا بالفضائل وتمسكوا بالكمالات ، وكونوا أقوياء بأخلاقكم أعزاء بما وهب الله لكم من عزة المؤمنين وكرامة الأتقياء الصالحين .

وأقبلوا على القرآن تتدارسونه وعلى السيرة المطهرة تتذاكرونها، وكونوا عمليين لا جدليين ، فإذا هدى الله قوماً ألهمهم العمل ، وما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل .

وتحابوا فيما بينكم واحرصوا كل الحرص على رابطتكم فهي سر قوتكم وعماد نجاحكم ، واثبتوا حتى يفتح الله بينكم وبين قومكم بالحق وهو خير الفاتحين .

واسمعوا وأطيعوا لقيادتكم في العسر واليسر والمنشط والمكره ، فهي رمز فكرتكم وحلقة الاتصال فيما بينكم .

وترقبوا بعد ذلك نصر الله وتأييده . والفرصة آتية لاريب فيها . « ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » .

وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه ، وسلك بنا وبكم مسالك الأخيار المهتدين ، وأحيانا حياة الأعزاء السعداء ، وأماتنا موت المجاهدين الشهداء ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

دار الكتاب العربي

شارع فاروق خلف ٢١ — القاهرة

الثمن ١٥ مليما